

الملاحظات

أما "لوح غلام الخلد" فلوح آخر له الخاصية نفسها ولكنه نزل بلغتين فجزء منه بالعربية وآخر بالفارسية. إنه لوح بالغ الجمال نزل احتفاء بذكرى إعلان دعوة حضرة الباب ويصور لنا بوضوح بشائر مجيء حضرة بهاء الله بلغة غنية بالصور المجازية، فيشير حضرة بهاء الله إلى نفسه بتعابير رمزية ويكشف عن جماله ويمجد رسالته ويعرف نفسه على أنه الكلمة التي دارت حولها أرواح النبيين والمختارين، ويعلن لكافة أصحابه أن الذي كان مستورا عن أعين الناس قد ظهر، مؤكداً أن بمجيئه قد نفخ في الخلائق أجمعين روحاً جديدة، داعياً صفوة عاشقيه للقدوم إليه والاتحاد مع محبوبهم حاثاً إياهم على تطهير قلوبهم حتى يفوزوا بالقبول لدى محضره الأنور فيطهروا أنفسهم من علائق الدنيا ويتخلصوا مما يساورهم من الظنون والأوهام.

ويبين حضرة بهاء الله في هذا اللوح أيضاً عظمة حضرة الباب ومقامه، ويؤكد على أنه النقطة التي فصلت منها كل العلوم، وهذه حقيقة في صلب أمر حضرة بهاء الله، ذلك بأن كل رسول إلهي كان مصدر المعرفة لأمتة وهذا ما أثبتته التاريخ.

ولنضرب لذلك مثلاً. فإن شعب إسرائيل كان أسير فرعون، فحرم أبناءه من حقوقهم وحریتهم وأصبحوا مسلوبي العدالة، ولكن نفوذ النبي موسى عليه السلام حررهم من ربة العبودية وبفضل هدايته الإلهية احتلوا مكاناً مرموقاً بين شعوب العالم وذاعت شهرتهم وذلك نتيجة الحضارة العظيمة التي أسسوها. وكما تفضل حضرة عبدالبهاء فإن بعض فلاسفة اليونان جاء إلى الأراضي المقدسة خصيصاً للبحث عن العلم والمعرفة لدى الشعب اليهودي، فأخذوا مبادئ وحدانية الله وخلود الروح وعادوا بهذه التعاليم إلى بلادهم.

وبالمثل فقد جاء الدين المسيحي بحضارة شملت العالم الغربي كله، وجرفت في سبيلها كل معايير الحضارة الرومانية، فأقامت بدلها نهجاً جديداً للحياة، ونورت عقول الملايين من البشر، وأرست القواعد الجديدة للعلم والمعرفة.

ويقدم لنا الإسلام أفضل الأمثلة في هذا المجال. فرغم ظهور الدين الإسلامي في بيئة من القبائل المتناحرة في الجزيرة العربية، فإن الحضارة التي ترعرعت في رحابه بعثت الحياة الروحية في الملايين من البشر، من جهة، وأسست -من جهة أخرى- منابر العلوم والمعارف في كل أنحاء العالم الإسلامي. فقام علماء الإسلام ومفكروه بإرساء قواعد العديد من الفنون والعلوم، فوصلت إنجازاتهم العلمية شعوب العالم المسيحي لتحدث في حياة تلك الشعوب انقلاباً كان له أبعد الآثار.

ويصف جورج تاونزند -الباحث الأيرلندي الكبير- العرب تحت تأثير الإسلام في كتابه "المسيح وبهاء الله" بهذه الكلمات :

بفضل ما للقرآن من مكانة متميزة كونه معجزة أدبية، ونظرا لافتخار العرب بلغتهم باعتبارها أفضل ما تكلم به بنو البشر، والتي يعدها الدارسون في عصرنا هذا إحدى المحصلات الفكرية العظيمة للجنس البشري، كان للأدب بكل أغراضه وقوالبه مكانة مرموقة. فقد أسست المدارس والجامعات التي غصت بالطلبة من أمم متعددة، وبرزت للوجود أعمال عظيمة في مختلف المواضيع، وبنيت المكتبات الكبيرة التي تضم مئات الألوف من المجلدات، وقلّب الخلفاء الأرض بحثا لجلب العلوم والمعرفة إلى ديارهم، فأرسلوا البعثات العلمية التي استطاعت أن تستقي من الأصقاع الأجنبية والعصور الغابرة تراثها الفكري. واستخدم جيش من المترجمين لنقل الأعمال الأدبية الإغريقية والمصرية القديمة والهندية والعبرية إلى العربية. ودرست قواعد اللغة وأصولها على نطاق واسع، وجرى التوسع في إعداد القواميس والمعاجم والموسوعات، وجلب الورق من الصين واستعمل نظام جديد عددي وهو المعروف بالأرقام العربية مصدره الهند، وأصبحت اللغة العربية لغة عالمية. وأخذ الخلفاء يدعون الأدباء المشهورين في العالم إلى بلاطهم، ووجد

الدارسون والفلاسفة والشعراء وعلماء النحو من مختلف الأقطار مكانا للالتقاء في المكتبات الضخمة في العاصمة.

كان البحث في العلوم -التطبيقية منها والنظرية- يسير جنبا إلى جنب مع الأبحاث الأدبية. وقاد العرب العالم، في ذلك اليوم، في العلوم التطبيقية والطب والجراحة والكيمياء والفيزياء والجغرافيا كما هو الأمر في الرياضيات وعلم الفلك. واخترع العرب نمطا جديدا رائعا في الهندسة المعمارية يتميز بالرحابة والأناقة وصلابة الهيكل واستغلال الضوء. ويمكن تتبع تأثير هذا كله في أنحاء الهند وحتى جاوا وإلى الصين والسودان والأراضي الروسية كلها. لقد طوروا فروعاً كثيرة من الصناعة وحسّنوا أساليب الزراعة والبستنة. واستخدموا البوصلة فجابت سفنهم البحار، وأقامت قوافلهم التجارة بين أقاليم إمبراطوريتهم حاملة منتجات من الهند والصين وتركستان وروسيا وأفريقيا وجزر الملايو.

أما مجد بغداد بمساجدها وقصورها وصوامعها العلمية وحدائقها العطرة، فقد وجد له انعكاسا وتم إحيائه في مراكز أصغر في العالم الإسلامي، مثل البصرة وبخارى وغرناطة وقرطبة، وقد ذكر عن هذه المدينة الأخيرة أنها، وهي في قمة ازدهارها، كانت تضم أكثر من مائتي ألف منزل ويقطنها أكثر من مليون نسمة، وإنه كان بإمكان المرء فيها السير بعد الغروب عشرة أميال في خط مستقيم في شوارع

معبدة ومضاعة، وأما في أوروبا وحتى بعد ذلك بقرون لم يكن هناك شارع مرصوف في باريس ولا مصباح عام في لندن. وكانت جامعة قرطبة أولى الجامعات التي أسست في أوروبا فأمّ أروقتها الدراسية عدد غفير من العلماء المسيحيين، وكان من بين هؤلاء جيربرت الذي أصبح فيما بعد سلفستر الثاني، وصار في روما الحبر البابوي الأعظم الذي عرف بذكائه الفذ وشخصيته المتميزة.

وبالرغم من مشاعر العداة القائم بين البلدان المسيحية والإسلامية، كان من المحتم لهذه الحضارة المتقدمة أن تؤثر في مجرى الحياة والفكر في أوروبا. فمن خلال المواقع الإسلامية في صقلية وامتداد شعاع الإسلام في إسبانيا، وبفضل ذكاء الدارسين ومصادر المعرفة في الجامعات الإسلامية، وبواسطة التجار والمسافرين ورجال السياسة والجنود والبحارة وتنقل المزارعين، انتقلت الأفكار الجديدة والتقنيات والاتجاهات الحديثة من العالم الإسلامي إلى أوروبا الغربية.

وفي هذا الظهور، وهو عهد البلوغ حد الكمال للعصور والقرون الماضية، فان البشرية قد أنعم عليها بطاقات جبارة حتى تنمو وتتطور في كل ميدان من ميادين المعرفة الإنسانية. ويمكننا القول أن تطور البشرية حتى إعلان دعوة حضرة الباب كان

بطيئاً ومحدوداً في مداه، إلا أنه بمجيئه فُتح عصر جديد من المعرفة أمام الإنسانية بشكل لم يسبق له مثيل في السعة والانتشار.

ينص أحد الأحاديث الإسلامية بكل وضوح: "العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، ولم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين. فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً".

ومنذ ظهور حضرة الباب شهدت الإنسانية تقدماً مذهلاً في حضارتها المادية والروحية. فغزارة الاكتشافات العلمية، التي لم يشهد التاريخ لها مثيلاً، قد شيدت في وقت قصير جهازاً رائعاً للاتصالات عبر العالم وهو الحدث البارز الأهم إذا أردنا أن نقيم بصدق معالم الخطة الإلهية للبشرية جمعاء.

ويمكن إدراك سطوع أنوار أمر بهاء الله على بقاع المعمورة، والإعلان عن رسالته إعلاناً عالمياً فقط عندما يحين الوقت الذي يصبح الناس فيه قادرين على الاتصال فيما بينهم بكل سهولة. فدون قيام جهاز عالمي واسع للاتصالات يربط العالم الإنساني بأكمله فإن رسالة حضرة بهاء الله لن تكون قابلة للتنفيذ أو ذات تأثير فاعل. فدين حضرة بهاء الله يدور أساساً حول مبدأ وحدة الجنس البشري، فرسالته عالمية

وهدفه تأسيس نظام عالمي روحاني يضم تحت لوائه كل الذين يعيشون على هذه الأرض.

لم يكن بمقدور كثير من المؤمنين في بداية الظهور في بلاد فارس تصور كيفية وصول الأمر المبارك إلى البقاع النائية من الكرة الأرضية. فلم يعرفوا آنذاك وسيلة للسفر غير المشي أو ركوب الدواب. والسؤال الذي كان يحيرهم في الغالب هو كيفية طي تلك المسافات الشاسعة لتبليغ أمر الله، ولم يدر بخلد الواحد منهم سوى أن الله سوف يخلق الوسائل. إلا أن حضرة الباب صرح بأن على البشرية أن تبتدع نظاما سريعا من الاتصالات بحيث تصل أبناء ظهور "من يظهره الله" إلى كافة أنحاء المعمورة.

وهذا ما حدث الآن، ففي فترة قصيرة حدثت ثورة علمية هائلة تثير الدهشة والإعجاز وقد أصبح العالم اليوم عالما واحدا، وبإمكان الإنسان أن يقيم الاتصال بسرعة الضوء أو أن يسافر بأسرع من الصوت. حقا لقد أدخل حضرة الباب الإنسانية في عهد جديد من المعرفة ممهدا الطريق لظهور حضرة بهاء الله الذي وصل أمره اليوم إلى عموم البشر وارتفعت بكل ثبات مؤسسات نظامه العالمي في كل بقعة من بقاع الأرض.

شمل تدفق العلوم والمعارف من فيض هذا الظهور الشؤون الإنسانية في مضماريها المادي والروحي، ولتحقيق المدنية الإلهية لا بد لهذين المضمارين التقدم والازدهار معاً، فاتّباع أحدهما دون الآخر يحدث الخلل في حياة الإنسان ويعيق تقدمه تماماً، فالمعرفة العلمية بمفردها تقود إلى المادية البحتة والمعرفة الروحية وحدها تؤدي إلى الخرافات.

إن هدف ظهور حضرة بهاء الله هو خلق هذا التوازن في المجتمع الإنساني، وعندما يتحقق هذا التوازن على المستوى العالمي فإن المدنية البهائية سوف تبرز للوجود، وعندها تسيطر معرفة الله على الروح الإنسانية، بحيث يصبح نبل الخصال والفضائل الإلهية سمة مميزة للجنس البشري، ويعمل التقدم العلمي مع التطور الروحي على الدخول في عهد جديد من الإنجازات البشرية. وفي مجتمع مثل هذا، فإن الفنون البهائية من أدب وموسيقى مجبولة بفيض القوى الروحية الإنسانية ستولد وتنمو، وستزدهر شجرة الحياة الإنسانية لتبلغ ذرى النضج والبلوغ.

كتاب ظهور حضرة بهاء الله، أديب طاهرزاده، المجلد ١